

الفائدة الثالثة عشر:

نظرة الناس إلى الجمال أو المال أو قوة البدن

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:**

فالتأمل لحال الناس يجد أن نظرتهم إلى الجمال، أو المال، أو قوة البدن، أو نحو ذلك مما يتفاخرون به، والتأمل للأحاديث النبوية، وقبل ذلك الآيات القرآنية يجد أن هذه الأمور ليست بمحل نظر الشرع؛ بل نظرة الشرع إلى الإيمان والعمل كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)} وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم} [البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧]

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا من أقل الناس أموالاً، ومن أضعفهم أبداناً، ومع ذلك صاروا في مرتبة عليّة، ومرتبة سامية لم يبلغها غيرهم، ولنضرب مثلاً بأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم:

١- الأول: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

كان دقيق الساقين، حتى رقى يوماً على شجرة الأراك فضحك الصحابة،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أتعجبون من دقة ساقيه، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

انظر إلى هذه الصحابي الجليل بلغ به الحال أن تكون ساقاه في النحافة إلى مستوى يُتَعَجَّبُ منه؛ لكن العبرة بالعمل صار وزن ساقيه في الميزان أثقل من أحد، وهذا الحديث دليل على وزن العامل يوم القيامة.

وفضائل هذا الصحابي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر في العلم والعمل.

❦ الثاني: ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات: ٢]، احتبس في بيته يبكي فقال: أنا أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عملي، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ } [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وهو في «الصحیح المسند» للشيخ مقل رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم (١١٩).

هذا الرجل تقول عنه زوجته: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنْقَمَ عَلَى ثَابِتٍ فِي دِينٍ وَلَا خُلُقٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ (١).

وجاء عند ابن ماجه (٢): والله يارسول أني إذا رأيته أهم أن أتخم في وجهه لدمامة خلقه، وفيه حجاج بن أرطاة ضعيف.

وفي رواية: «أَنَّهُ ضَرَبَهَا فَكَسَرَ بَعْضَهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الصُّبْحِ، فَاشْتَكَتْهُ إِلَيْهِ» (٣).

وأمرها النبي ﷺ أن تحتلع لما كان هذا حالها معه ورُدَّتْ عليه حديقته وفارقها، جاء في البخاري «وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً» (٤)، لكن الجمهور على أن الخلع فسخ، وليس بطلاق.

شاهدنا أن هذا الرجل من المبشرين بالجنة بغض النظر عن جماله، أو ماله، أو غير ذلك.

والثالث: بلال الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال له النبي ﷺ يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك أمامي، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَلَالٍ: عِنْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنَفَعَةٌ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلُكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ بِلَالٌ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةً، مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهُورًا تَامًا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) برقم (٢٠٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٢٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه البخاري (٥٢٧٣)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ^(١).

وهذا الرجل عظيم الفِعال، نبيل الخِصال، ولكنه لم يكن في النسب كغيره، لكن رفعه الله بالإسلام، إذ أن الإسلام ليست نظرتة إلى النسب المجرد، أو إلى جمال الظاهر المجرد، إنما النظرة إلى العمل الصالح، وإلى امتثال الشرع.

مع أن النَّبِيَّ ﷺ يقول: «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُّهُوا»^(٢).

الرابع: جلييب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جُلَيْبًا كَانَ امْرَأً يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ، يَمُرُّ بِهِنَّ وَيَلَاعِبُهُنَّ فَقُلْتُ لِمَرَّتِي: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُمْ جُلَيْبٌ، فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ عَلَيْكُمْ، لَا فَعْلَنَ وَلَا فَعْلَنَ. قَالَ: وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يَزُوجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ هَلْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا حَاجَةٌ؟ أَمْ لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «زُوجْنِي ابْنَتَكَ». فَقَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَنُعْمَ عَيْنِي. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي». قَالَ: فَلِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِجُلَيْبٍ». قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشَاوِرُ أُمُّهَا فَاتَى أُمُّهَا فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. فَقَالَتْ: نَعَمْ. وَنُعْمَةٌ عَيْنِي. فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ يَخْطُبُهَا لِنَفْسِهِ إِنَّمَا يَخْطُبُهَا لِجُلَيْبٍ. فَقَالَتْ: أَجُلَيْبٌ إِنِّي؟ أَجُلَيْبٌ إِنِّي؟ أَجُلَيْبٌ إِنِّي؟ لَا. لَعَمْرُ اللَّهِ لَا نَزَوَّجُهُ. فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ لِيَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيُخْبِرُهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّهَا: قَالَتْ الْجَارِيَةُ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرْتُهَا أُمُّهَا فَقَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ؟ اذْفَعُونِي؛ فَإِنَّهُ لَمْ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُضَيِّعُنِي. فَانْطَلَقَ أَبُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَا فَرَوَّجَهَا جُلَيْبِيًّا قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ لَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَفَقْدُ فُلَانًا وَنَفَقْدُ فُلَانًا. قَالَ: «انْظُرُوا هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا». قَالَ: «فَاطْلُبُوهُ فِي الْقَتْلِ». قَالَ: فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا هُوَ ذَا إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً وَقَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدَيْهِ وَحَفَرَ لَهُ مَا لَهُ سَرِيرٌ إِلَّا سَاعِدَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ غَسَلَهُ. قَالَ ثَابِتٌ: فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ مِنْهَا. وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ثَابِتًا قَالَ: هَلْ تَعْلَمُ مَا دَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا». قَالَ فَمَا كَانَ فِي الْأَنْصَارِ أَيْمٌ أَنْفَقَ (١).

والحديث في مسلم (٢) بدون زيادة الزواج، عَنْ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا، فَاطْلُبُوهُ» فَطَلَبَ فِي الْقَتْلِ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ،

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٧٨٤).

(٢) برقم (٢٤٧٢).

هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا.

فيا عباد الله هذه الأمثلة تبين لنا أن قيمة الإنسان بقدر تمسكه بدين رب العالمين في الدنيا وفي الآخرة.

أما جمال ظاهره وهو بعيد عن الجمل الباطن فلا خير فيه، وإذا جميل الوجه لم يأت بالجميل فما جماله، جميل الوجه إذا لم يأت منه الجميل من الفعال ما ينفع له ذلك الجمال، وهكذا السمين البطين البعيد عن تعاليم الدين لا فائده في سمنه إلا أنه مذموم، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

فليكن حرصنا على إصلاح ظواهرنا وبواطننا، وبالله التوفيق.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.